النشيد الجسدي للعزاوي

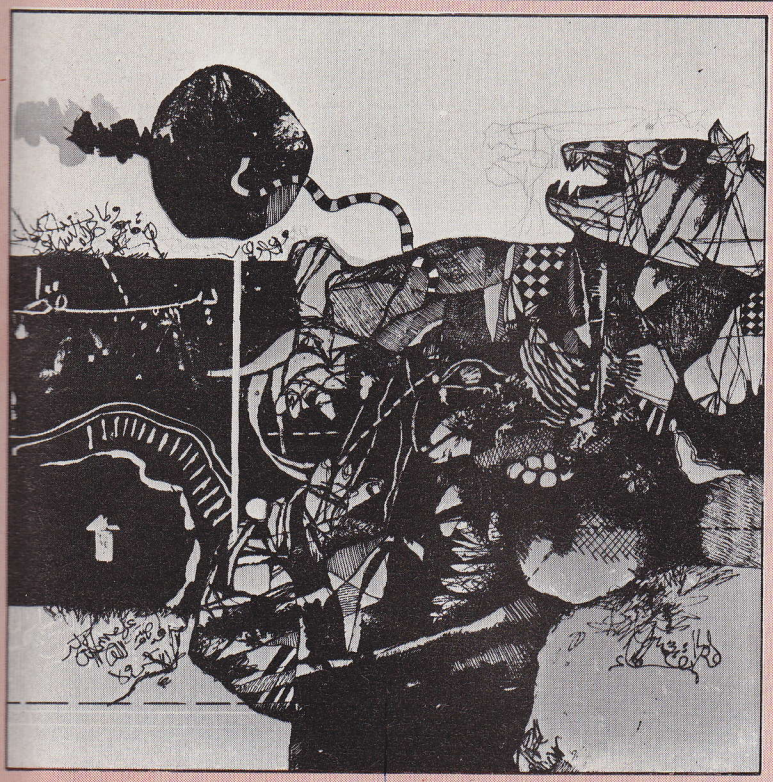

يساراً حتى جبل الزيتون .. للصائغ

الفنان العراقي المعروف ضياء العزاوي يدخل نطاق تجربة جديدة في الابداع ، يلتقي عند تخومها الشعر والاسطورة فيتشكلان دراما لونية على ورق مصقول ... للجميع لا للصفوة .

يقتحم مخيم « تل الزعتر » من جديد الذاكرة العربية عبر الرسوم الخمسة عشرة التي اعدها « الفنان ضياء العزاوي ملخصاً مأساة المخيم الفلسطيني ، ومذكراً بالبطولة التي لامست الاسطورة في تلك المواجهة الدامية بين اهل الزعتر وبين المهاجمين من شتى الجهات . انه « النشيد الجسدي » كما يقول العزاوي ، ذلك الذي يربط تاريخاً مشبعاً بالقمع والتهجير والفقر والجوع .

هذا التاريخ المتداخل من دير ياسين وكفر قاسم الى الزعتر هو محطات تجسم لنا ما فعلته السكين ذات الوجوه المتعددة والهوية الواحدة بجسدنا . وها هو جسدنا ينتفض من جديد ، وينبعث كالفينيق ليعلن نشيده في ارجاء الارض العربية .

في المغرب ، يترجم الشاعر الطاهر بن جلون نشيد تل الزعتر في قصيدته « ضاحكاً جاء الموت الى تل الزعتر » وتصبح البلاد مسلوخة الروح والتاريخ لا يخجل من انقاضه . يكتب الطاهر بن جلون لنا جميعاً من قرن آت ، وبكلمات صانها الجنون عن شعب اصيب بجسده وتاريخه وهو معطوب الروح !

ومن العراق يكتب يوسف الصايغ قصيدته عن الزعتر « يساراً ... حتى جبل الزيتون » صارخاً :

« جسد عار ،
مقطوع الرأس ،
اصابعه ، متشبثة ببقايا شعر اسود
يومض فيه خاتم عرس ذهبي ...
وعلى العنق المقطوع ،
بقايا قبل متعجلة ،
توشك ان تتيبس !
صحت : هي امرأتي يا أهل التل ...
أجاب يهوذا :
ـ ابداً
هذا الجسد العربي
سيبقى عشر ليال في القفر
الى ان يتفسخ فيه الوطن العربي ! » .

احمد الزعتر

والمحطة الاخيرة التي اختارها ضياء العزاوي كانت فلسطين بصوت شاعرها محمود درويش ، ونشيده « احمد الزعتر » . واحمد هو الرهينة التي يعدون لها

جبل الصايغ

ضياء العزاوي يرسم المأساة بريشة المستقبل :

تل الزعتر في ذاكرة الخط واللون

احمد الزعتر لمحمود درويش

المقصلة والجنازة . لكن الصرخة الفلسطينية تتردد اصداؤها في الوطن كله :

« انا احمد العربي ، فلييات الحصار
جسدي هو الاسوار فلييات الحصار
وانا حدود النار فلييات الحصار
وانا احاصركم
أحاصركم
وصدري باب كل الناس فلييات الحصار » .

ان قصائد الشعراء الثلاثة ، ورسوم العزاوي الخمسة عشر الموزعة بالتساوي على الشعراء ، ستصدر قريباً كباكورة لاعمال « دار المثلث للنشر » في بيروت ، وذلك في كتاب ضخم يحمل اسم « النشيد الجسدي » .

ويضم الكتاب رسوماً في قياس ٢٥٠ × ٢٥٠ سم ، ستعرض للمرة الاولى في بغداد قريباً .

اما العزاوي ، فيقول عن عمله الجديد ، والذي يعتبر الثاني من نوعه بعد رسومه للمعلقات العربية السبع ، ان تل الزعتر تتوزعه طرقات موحلة عارية ككف عامل مليئة بالتشققات ، تزاملت فيه بيوت الصفيح وكأنها تعلن تقاسمها لتاريخ طويل من القهر والعتمة . الآن يحضرنا تل الزعتر كمقبرة جليلة تتكدس فيها اجساد مهشمة ، مزق من لحم انساني تعلق في خنادق مهجورة ... واطفال عزل ...

لقد اجّل هذا المخيم موته مرات كثيرة على الرغم من تناثر ستين الف قذيفة في اليوم الاول من حصار دام اثنين وخمسين يوماً . كان فيه العدس الطعام الوحيد وكانت قطرة الماء تقابل قطرة الدم ...

لم يباغت التل ، كان الموت يزحف الى قلبه مثلما تزحف وحوش ملعونة ، احترق ، دمرت بيوت الصفيح ، وضاقت الحفر التي صنعتها القذائف بالاجساد البريئة والجميلة .

ويتابع : « النشيد الجسدي ، رسوم اردتها عن ذلك الحصار . ليست هي للعزاء ، ولا هي وثيقة عن مجزرة داكنة العتمة ... انها تعبير يحاول خلق ذاكرة حرة تتواصل ضد القهر حتى تحضر زمناً تنزف فيه شراراتها المضيئة ، زمناً يستدعي دم الاصدقاء والأخوة ، ويعجل قدوم الاثنين من بوابة الشهداء ... حيث يكون الوطن خبزاً غير ملوث بالتراب والدم ... فضاء لا تضلله الغدارات السود وشباك التخفي ... اقدام تعبر بأمان زمناً جميلاً . ورجال لا يبيعون احلامهم .

تداخلت الاصوات ... سقط لم يسقط ، سيسقط ، لن يسقط ... اعلنت القيامة ، ولم يسقط ... غطى الموت نهار تل الزعتر ، وغادرت الجموع الغفيرة عاصمتها تحت خيمة نار ملتهب الى مخيمات اخرى للفقر والنزح » .

بدر الحاج

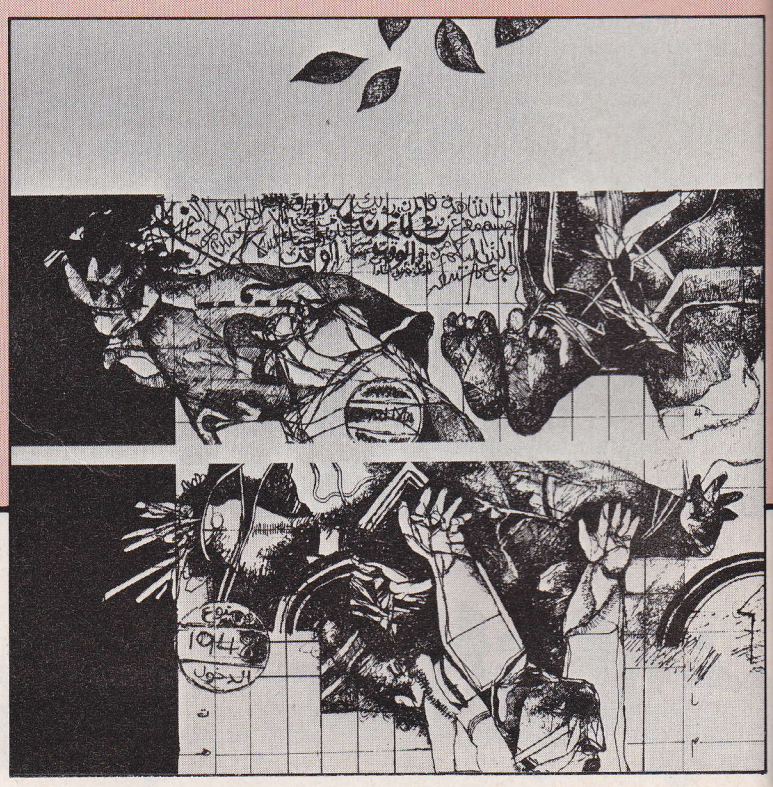

ضاحكا جاء الموت لطاهر بن جللون

فلسطين درويش

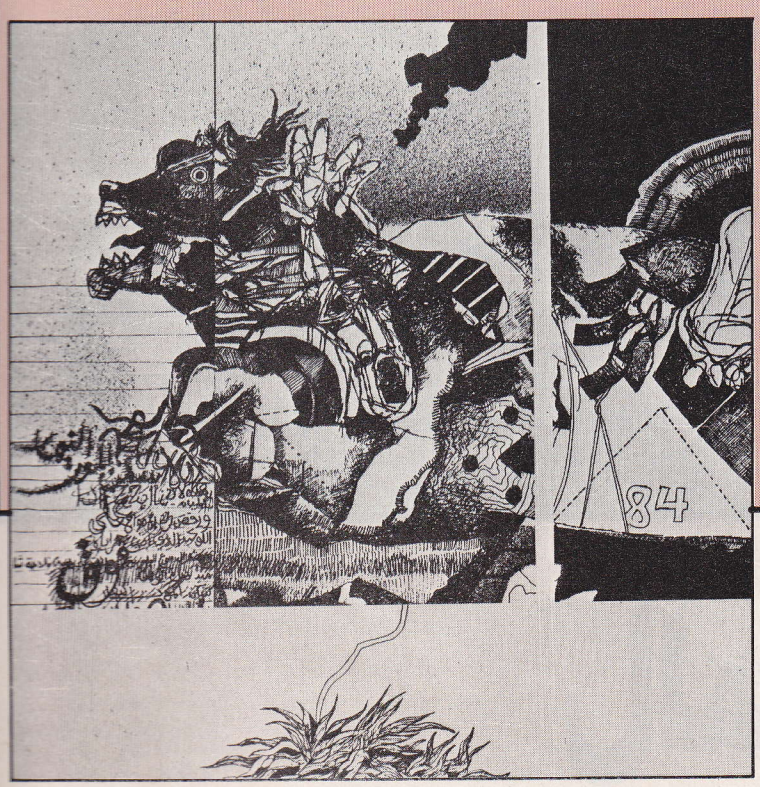

الى تل الزعتر .. لبن جللون ايضاً